افتتاحيات الصحف العربية وحرب فلسطين ١٩٤٨

الدكتور وليم حداد

البحث التالي هو ملخص دراسة جامعية طويلة وضعت باللغة الانكليزية حول آراء عدد كبير من الصحف العربية بالحرب العربية الصهيونية في العام ١٩٤٨ . وهذه الصحف هي : الاخبار (سورية) الف باء (سورية) الانشاء (سورية) الاهرام (مصرية) الاوريان (لبنانية) الايام (سورية) بردى (سورية) البلد (سورية) بيروت (لبنانية) الحياة (لبنانية) الدفاع (فلسطينية) الديار (لبنانية) الزمان (مصرية) السوري الجديد (سورية) العلم (سورية) فلسطين (فلسطينية) الفيحاء (سورية) القبس (سورية) الكفاح (سورية) اللجور (لبنانية) المصري (مصرية) المنار (سورية) النذير (سورية) النصر (سورية) النضال (سورية) النهار (لبنانية) .

قبيل تبني الامم المتحدة قرار تقسيم فلسطين في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ ، لم يختلف رأي مقالات وافتتاحيات الصحف العربية كثيرا عما يعتقد انه كان الرأي العربي العام من فلسطين . وركز نقاش الصحف العربية عموما ، قبيل ذلك التاريخ حول المناقشات الفكرية ، غير العسكرية في جوهرها ، فيما يتعلق بحقوق العرب ومزاعم اليهود . ودار مثل ذلك الرأي في الافتتاحيات ، كما بدا قبل نوفمبر ١٩٤٧ ، حول المزاعم اليهودية ورفض مسعي اليهود الموجودين في اوروبه للمجيء الى فلسطين لان ذلك يقض مضاجع الحياة العربية بشدة « ان المسعي من اجل الحصول على هوية قومية اخرى ، لهو من اقل الاهداف السياسية اليهودية التي يمكن الدفاع عنها . ان جميع البلدان التي يعيشون فيها تمنحهم جنسيتها . ألا يكفيهم كونهم من الانكليز او الفرنسيين او الاميركيين او السويسريين او الهولنديين او الدانمركيين ، ليكونوا محترمين بما فيه الكفاية ؟ كيف يمكن ان ينقل يهود شرق أوروبه الى فلسطين بالالاف ومئات الالاف دون ان يزعجوا عرب فلسطين وجيرانهم ؟ وكيف يمكن للسلام ان يتحقق في ظل مغامرة وقحة ومحفوفة بالمخاطر كهذه ؟ »(١). الا ان الجملة الاخيرة في هذه الافتتاحية تبين ، حتى في العام ١٩٤٥ ، انه كان هناك يقظة في الجانب العربي من أن صراعا عسكريا من نوع ما قد يتطور بسبب تدفق اليهود الى فلسطين ، والنتائج « قد تصبح دموية ورهيبة على أشد صورة »(٢).

وبعد أن واجه العرب الحقائق الواضحة في العام ١٩٤٧ وقبله اخذ العرب يضمون في افتتاحياتهم ، بصورة متزايدة ، رأيهم الذي يمكن تقسيمه لعدة خطوط رئيسية : أولا ، شعر العرب بأن الضغط الخارجي الذي كان يفعل فعله في الامم المتحدة فرض على العالم تقسيم فلسطين . وثانيا ، مع هذا الادراك وتحديد اللوم تأكدت للعرب وحدتهم . ثالثا ، كان هناك اتفاق اجماعي تقريبا على رفض تقسيم فلسطين لان ذلك لم يكن عادلا .

وبما أن الصحافة العربية قد اعترفت بوحدة فلسطين وشخصيتها العربية فان المناقشات التي دارت والمقررات التي اتخذت في الامم المتحدة نالت نظرة يكتنفها الكثير من الشك . ومن بين الوفود المرتبطة بفلسطين تعرض وفد الولايات المتحدة لاشد النيران . فقد اعتبر وفد الولايات المتحدة في كافة ارجاء البلاد العربية خاضعا للضغط اليهودي(٣).